صحّة الاعتراضات الموجهة لنظام العوامل على الأقل في مظاهرها العامّة قبل الخوض في القضايا الإجرائية، ومنها الوظائف النحوية.

تتلخص هذه الاعتراضات ذات الطابع المنهجي على نظام العوامل في ثلاث حجج حسب ما أسلفنا.

- أمّا الحجة الأولى فتتّهم نظام العوامل بأنّه خرج عن مقتضيات الوصف اللّغوي لأنّه أدّى بالنحاة إلى رفض بعض الأقوال المرويّة عن عرب ثقاة، وتخطئة بعض فحول الشعراء.

لقد سبق أن أجبنا إجابة أوّلية عن هذا النقد في المدخل النظري لهذا العمل لما أرجعنا هذا النقد إلى عدم تمييز القائلين به بين ثنائية اللسان والكلام ونزيده تدقيقا بناء على توضيحاتنا التي قدمناها حول شروط صياغة النظرية العلمية فنقول: [1]

إن عناية النحاة بالظواهر المطردة وما انجرّ عنه من تخطئة لبعض فحول الشعراء لا يعني سقوطهم في المعيارية، وإنّما يجد تفسيره في ضرورة التمييز بين مادّة العلم وموضوعه. ثم في أولويّة شرط التناسق على شرط شمول المعطيات عند بناء النظريات العلمية. وبناء عليه فمادّة العلم (أو مجاله) تتكوّن من كلّ السلوكات والظواهر التي تتصل من قريب أو

1 انظر في العمل القسم الأول الفقرة 3.3.5.